

حياة أحمد بن عليوة المستغامي:

ولد عام (1291_1353هـ / 1874_1934م)¹، وهو العارف بالله والمرشد، شيخ الصوفية الكبير مؤسس الطريقة العلوية، وهو "القطب الغوث صاحب الدائرة والتصريف، والغنية شهرته عن التعريف مولانا السيد أحمد بن مصطفى العلوي المستغامي الشاذلي الدرقاوي..."²، تلميذ الأستاذ الصوفي محمد بن الحبيب البوزيدي الدرقاوي (1909).

وأحمد بن عليوة هو "أحمد بن مصطفى بن محمد المعروف بالقاضي بن محمد المعروف بابي شنتوف بن الولي الصالح الملقب ب (مدبوغ الجبهة) بن الحاج علي"³، وهو ما يعرف عند العامة "بعليوة وهو المنتسب إليه بن غانم القادم من الجزائر على مستغانم بصفته قاضيا عليها..."⁴ كما تنتمي إلى أحمد بن عليوة "الطريقة المعروفة باسمه (الطريقة الدرقاوية العلية أو العلوية)..."⁵.

ويعدّ أحمد بن عليوة "فقيه متصوف مولده ووفاته في مستغانم (Mostaganem) بالجزائر..."⁶، من أسرة مشهورة في مدينة (تجديت)، وأخذ العلم عن أهل بلده وفي صغره "نشأ على العبادة، والطاعة، والاجتهاد، والمجاهدة، وأخذ بالطريقة العيساوية والدرقاوية، درس الكتاب والسنة، وحفظ القرآن الكريم..."⁷، انتهى به الحفظ إلى سورة،

¹ خير الدين الزركلي "الأعلام"، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، والمستشرقين، الأبري-إغناطيوس، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج 1، ط 15، 2006، ص 258

² أبي الحسن علي الحسن بن محمد بن محمد بن القاسم الكوهن "طبقات الشاذلية الكبرى" - المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005، ط 2، ص 214

³ إبراهيم عاصم الكيالي "الحقائق الإلهية في تائيات الصوفية" - عشرون تائية صوفية في أنوار الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، 2007، ط 1، ص 203

⁴ أحمد بن عليوة "المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلوية، مستغانم، ج 1، ط 2، 1989، ص 6

⁵ أحمد بن عليوة "مفتاح الشهود في مظاهر الوجود"، ت: عاصم إبراهيم عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ط 1، ص 5

⁶ خير الدين الزركلي "الأعلام"، ص 258

⁷ ممدوح الزوي "معجم الصوفية"، أعلام، طرق، مصطلحات، تاريخ، ص 14

ومما جاء ذكره أيضا أنه "إذا كان هذا المؤسس للزاوية العلوية قد درس مذهب الصوفية ومناهجهم، فهو يعتبر اليوم من أعظم الأولياء في الإسلام..."¹، كما أخذ أحمد بن عليوة الطريقة عن الشيخ الصوفي قدور الوكيل، وعن أحمد بن عيسى المكناسي. ثم تعرّف بالولي الصالح محمد الحبيب البوزيدي (1813_1909)، شاعر مجيد وصوفي مطلع "أخذ أولا في تجويد القرآن، ثم تجرد للسياحة، والعبادة سنين ثم رحل إلى فاس قاصدا الشيخ العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الشاذلية الدرقاوية، فأخذ عنه وبقي في خدمته، وتحت تربيته حتى أصبح من أكبر تلامذته..."².

كانت له تأليف في علم التصوف، ونظم تائيته في الخمرة الأزلية، وقام بشرحها أحمد بن عجيبة، ومما ورد في تائية محمد البوزيدي في قوله³:

سَسَقْتَنِي كَأْسَ الْهَوَى مِنْ طَيْبِ الْخُمَيْرَةِ جَلَوْتُ بِهَا السَّوَى عَنْ نُورِ الْبَصِيرَةِ

سَسَقْتَنِي كُؤُوسَ الْحُبِّ مَحَقَّتْ أُنْيَتِي صِرْتُ فَرْحٌ وَنَطْرَبُ تَائِيهَا بِسَكْرَتِي

وقال محمد البوزيدي بعدما اكتمل سلوك أحمد بن عليوة قوله: "ينبغي لك الآن أن تحدّث وترشد الناس إلى هذه الطريق، حيث إنك على يقين من أمرك"، فقلت له: وهل ترى أنهم يسمعون لي؟، "فقال إنك تكون مثل الأسد، مهما وضعت يدك على شيء إلا أخذته فكان الأمر كما ذكر..."⁴، ومكث الشيخ العلاوي حوالي خمسة عشرة سنة في خدمة أستاذه، إلى أن توفي محمد البوزيدي (1327هـ_1909م) فتولّى رئاسة زاويته، ثم شيّد عدّة زوايا في كافة أنحاء الجزائر، والمغرب، وبدأت مشيخته منذ سنة 1914، كما زاد الإقبال على الطريقة وكثر مريدوها، ومن مريدي أحمد بن عليوة، خليفته عدّة بن تونس (ت 1952)، وهو أول من أسّس جمعية تعنى بالحوار بين الأديان سنة 1948

¹ جان شو قلبي "التصوف والمتصوفة"، ص 89

² إبراهيم عاصم الكيالي "الحقائق الإلاهية في تائيات الصوفية"، ص 163

³ أحمد بن عليوة "دواوين آيات المحبّين في مقامات العارفين"، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط 5، 1957، ص 114

⁴ مجلة المرشد "جمعية سيدي عبد الرّحمان الثعالبي لإحياء التراث"، جويلية، 2009، ص 3

بالجزائر، فكان شاعرا وكاتبا وحاميا للضعفاء، ومدافعا عن المحرومين، ومن جهة أخرى " لمّا لا حظ الشيخ العلاوي أهليته للتربية الروحية، فقرّب به منه قربا حميمياً، وأسند إليه عدّة مهام، وخصوصا تمثيله في مختلف المناسبات، وبعد سنة تقريبا زوّجه من ابنة أخيه (خيرة بن عليوة)، التي كفّلها من صغرها وربّاهَا كابنة بعد وفاة والديها...¹، وفي هذه المرحلة العمرية من حياته، ولمّا " أحسّ الشيخ العلاوي بقرب المنية كفّل الشيخ سيدي عدّة كفالة شرعية بحيث جعله بمنزلة الابن، ومن ثمّ سلّم له مقاليد التسيير المطلق، فجعله المتصرّف الوحيد كما نصّ على ذلك عقد الوصية مرجع 838kk رقم 594، من فهرس محكمة مستغانم الفصل الرابع...²."

بهذا خلف شيخه أحمد بن عليوة الذي توفي في 14 جويلية 1934، مخلّدا عمله بمواصلة تربية التّهضة الروحية المنوطة بالزّاوية الأمّ مستغانم، ومن مريدي أيضا أحمد بن عليوة الذين تتلمذوا على يديه " روني جينو René Guénon، كالشيخ عبد الواحد يحيى قد اعتنقوا المذهب الصّوفي سواء على الطّريقة العلوية، أو على طريق آخر...³، وأقاموا مراكز في فرنسا و سويسرا.

كما قام أحمد بن عليوة بعدّة أسفار تعرّف فيها على شخصيات غربية، و بعد عودته إلى الجزائر " اشتدّ عليه المرض إلى أن توفي في ربيع الثاني 1353هـ-1934م، حضر جنازته جمع غفير في كافة أنحاء المغرب العربي...⁴، فكان المثل الأعلى للعاملين، فأفعاله وأقواله، وأحواله كلّها برامج عامرة لأهل الخاصّة، والأمة من المريدين وأتباع الطّريقة.

التّكوين الدّاتي لدى بن عليوة :

¹ خالد عدلان بن تونس " الذّكرى الخمسون لوفاة الشيخ عدّة بن تونس " رجل الإصلاح ومربّي الأرواح _، جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصّوفية، 2002، ص 3

² المرجع نفسه، ص 10

³ جان شو قلبي " التصوف والمتصوفة "، ص 89

⁴ إبراهيم عاصم الكيّالي " رسائل الشيخ المستغانمي"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص 15

نشأ في أسرة محافظة عريقة مشهورة بالعلم، ونبيل الأخلاق، تربى تربية صالحة، أخذ عن والده نصيباً من القرآن الكريم، وبعض الدروس، نظراً إلى " اشتغاله وتعاطيه لبعض الأسباب التي دعت إليه الضرورة، ومارس عدة مهن، وفي ذلك قوله: " فترددت بين عدة مهن ، والآخر لازمت صناعة الخرازة، فمهرت فيها، وتوسّع الحال من أجلها، فبقيت عليها إلى أن انتقلت إلى التجارة، وكنت فقدت الأب على رأس السنة السابعة عشر من سنّي...¹، ولكنه لم يتوانى أبداً في ملازمة بعض الدروس ليلاً، وبعض اجتماعات للدّكر في أوقات الاشتغال.

حول هذا يقول بقلمه: " أمّا ملازمتي للدّروس فلم تكن ملازمة تعتبر بما أنّها كانت تقع في خلال الاشتغال وأوقات متفرقة، ولولا القريحة ، ومملكة الفهم، ما كنت أتصلّ منها على شيء يذكر ، غير أنّي كنت نديم المطالعة، وقد نستغرق الليل بتمامه، وكان يني على ذلك بعض المشايخ كنت أصحابه لمنزلي ، ودمنا على ذلك عدة شهور...²، وعليه فإنّ أحمد بن عليوة بهذا " قد حصل بفضل همّته العالية، وذكائه الكبير في ظرف وجيز، وانتسابه إلى أهل النّصوف...³.

وتجدر الإشارة إلى أنّه ما طاب له من علم الأذواق لم يتجاوز السّنّتين، ويستدرك أحمد بن عليوة قائلاً: " إنّّه لم يتفقّ ذهني ، وتتوسّع معلوماتي على بعد اشتغالي بعلم القوم (النّصوف)، وبعد اجتماعي بالشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي...⁴، فمن ثمرة الدّكر تحققت له المعرفة عن طريق المشاهدة، وأوّل ما تعرّف بالنّصوف في سن مراهقته الطّريقة العيساوية من طرف أحمد بن عيسى الدّي كان مقيماً بمكناس، ولديه مريدين كمن كلّ أنحاء المغرب، كما كان صاحب كرامات معروفة ، ومن المتعارف عليه أنّ الطّريقة العيساوية ترتبط " أساساً على ممارسات غريبة لتثبت أولوية الرّوح على المادّة،

¹ عدة بن تونس " الروضة السّنية في المآثر العالوية"، المطبعة العالوية، مستغانم، ط 2، 1984، ص 20

² المرجع نفسه ، ص 21

³ يحي بعبّيش " دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطّريقة العالوية "، منشورات جمعية الشيخ العالوي للتربية والثقافة، ط 1، 2009، ص 31

⁴ عدة بن تونس " التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العالوي"، جمعية الشّيخ العالوي للتربية والثقافة الصّوفية، 2001، ص 265

كفتن الحيات، ومعالجة اللسع، وابتلاع النار، وإلا أن الشيخ العلاوي أدرك بسرعة حقيقة هذه الممارسات، وبعد أن اكتسبها، اقتصر على الأذكار، والصلوات، وأوراد الطريقة العيساوية...¹، حول هذا تحدّث أحمد بن عليوة بقلمه: "أول ميل كان قد وقع لي لأهل النسبة على الإجمال تعلقي بأحد الرجال من السّادات العيساوية، كنت أراه متعقفا يظهر عليه اثر الصّلاح، وبعد ذلك اشتغلت بما تقتضيه تلك النسبة اشتغالا كليّا..و ألزمت نفسي على أن أقتصر في تلك النسبة على ما كان من قبيل الأوراد والأدعية..."²

إنّ تلقين الأوراد أو الاسم الأعظم هو المنهج التلقيني لدى الشاذلية، "تشتمل على طهارة، وانفراد بمحل مخصوص، وهو المخصوص بالخلوة يستغرق فيه المريد فيه أوقاته ليلا ونهارا، بدون ما يستغرق في غيره من العبادات ما عدا الفرائض، وما تأكّد من مسنونات إلى أن يظهر أثره على المريد، فينحصر في نظره، ويرى عنده أقل شيء بالنظر للوجود المطلق..."³، وننوّه إلى أن محمد البوزيدي كان قدوة له في طريق الله، فتشرّب منه طريقته الصّوفية المعتدلة، فارتقى بها إلى المراتب الروحية العالية، فنال حظوة كبيرة عند شيخه في حياته.

ولكنه من جهة أخرى عمل أحمد بن عليوة بفن التّوحيد، فأمره شيخه بتصفية باطنه لمعرفة فن التّوحيد، دون أخذه لدروس تحقيق البراهين، أو علم الكلام الذي يزيده شكوكا كما تقدّم به شيخه، كما عمل على الإنفراد بالذّكر، وعلى هذا الأساس فإنّ طريقة التّصوف عند أحمد بن عليوة ارتبطت أساسا على المنهج التلقيني لدى الشاذلية، والذي أخذه عن أستاذه من ذلك كيفية تدريج المريد، وفي ذلك يقول: "فمنهم من يتكلّم معه في صورة آدم

ومنهم من كان يتكلّم معه في صفات المعاني، ومنهم من كان يتكلّم معه في الأفعال الالهية، وكلّ كلام بكيفية تخصّه، أمّا السّير الغالب الذي كان يعتمده، واعتمدته نحن بعد

¹ مجلة المرشد "جمعية سيدي عبد الرّحمان الثعالبي لإحياء التراث"، ص 3

² أحمد بن عليوة "مفتاح الشّهود في مظاهر الوجود"، ت: إبراهيم عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ط 1، ص 6

³ عدّة بن تونس "الدرة البهية في أوراد وسند الطريقة العلوية"، المطبعة العلوية، 1987، ط 1، ص 15

أيضا , فهو أن يكلف المريد بذكر الاسم المفرد...¹, ولم يكتف بأخذ العلم عن أهل بلدته, وإنما أخذ أيضا علم القوم عن عدة أسفار قام بها إلى مختلف الدول العربية والغربية.

سياحته وأسفاره:

لم يقتصر وجود أحمد بن عليوة في الزاوية بتجديت (مستغانم) فحسب, بل إنما تعداه إلى زيارات عدة, حيث صمم على مغادرة الجزائر, و مرروا بالجزائر العاصمة, حيث ترك أول مخطوط عكف على كتابته, وتقديمه للنشر, وهو كتاب المنح القدوسية الذي طبع في 1911_1929, ثم توجه إلى تونس بسريرة تامة, فكان له هناك جماعة رغبته في مذكراته فكانوا أن أصبحوا مريديه, وقدم لهم نسخة من المخطوط أيضا.

ثم عاود " سفره نحو ليبيا...التقى بطرابلس أيضا بمسؤول في الجمارك أجرى معه مذكرات طويلة, زرع هذا الرجل المنتسب إلى التصوف في الشيخ العلاوي الرغبة في الاتجاه نحو اسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية..."², وصل إلى تركيا تعباً ومريضاً, اكتشف عالماً في تحول عميق مشرف على نهاية عهد الخليفة, ثم غادر تركيا, وكذلك الأمر كان بانتقاله إلى المغرب (فاس) مع شيخه محمد البوزيدي.

وفي ذلك يقول بقلمه: " وقد سافرت معه للمغرب الأقصى فتلقاه علماء مدينة وجدة بعظم إكرام وذاكرهم الشيخ بكثير من المسائل العلمية, والحقائق التوحيدية الصوفية..."³, كما انتقل إلى فاس, و " استقبل من طرف الهيئات الدينية العليا, وممثلي العائلة الملكية, و من طرف كتاب و مفكرين, منحت هذه الملاقاة أبعاداً عالمية لشخصية

الشيخ ورسالته..."⁴, ورسالته المستمرة لم تنته بعد رؤيته الكعبة, وأدائه مناسك الحج في البقاع المقدسة, إنما أيضا قام بزيارة فلسطين وسوريا, وسيناء, حيث لقيت رسالته صدى هائلاً امتدت حتى اليمن, وعليه "عندما حضر الشيخ بن عليوة إلى دمشق عن

¹ عدة بن تونس " الروضة السنية في المآثر العلوية", ص 25

² مجلة المرشد " جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي لإحياء التراث " , ص 5

³ عدة بن تونس " الروضة السنية في المآثر العلوية" موقع انترنت

⁴ مجلة المرشد " جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي لإحياء التراث " , ص 6

طريق الحاج عام (1350هـ)، كان الشيخ محمد بن يلس قد توفي، أذن للشيخ محمد الهاشمي بالطريقة والإرشاد، وخلفه عنه في بلاد الشام، وذلك على الملاء في جامع الشامية بدمشق، ثم بعد عودته إلى الجزائر أرسل له الإجازة الخطية...¹.

كما تجلت أسفاره في أوروبا أيضا، كان له مريدين أوروبيين مكّنه من نشر الفكر الصوفي في بلاد الغرب، على الأرجح هناك من يعتقد على أنها ثلاث زيارات منها " الأولى عند تدشين مسجد باريس سنة 1962، والثانية عند عودته من مكة سنة 1928، تعرّف هنالك على شخصيات كبيرة، وأيضا على الحضارة الأوروبية بكل أنواعها...² كما عمل على إحياء التراث الصوفي في كافة أنحاء الوطن الجزائري، حيث تنقل إلى القبائل، ودام فيها أشهر عديدة، ثم توجه إلى الأوراس.

وفي رحلته نحو الشرق، " أخذ عنه العهد أكثر من 1400 شخص، وفي بضع أسابيع عرفت الطريقة في المنطقة الوهرانية، وكذلك في أقطار الجزائر وزواياها، تمكّن بذلك من تحصيل نخبة شرعت في البحث عن جذورها...³، وعلى حسب ما ذكر جان شو قلبي في كتابه، أنّ أحمد بن عليوة " قد درس في الهند مذهب الصوفية ومناهجهم...⁴، و من هذا المنطلق، كانت عدّة زوايا رافقت هذه الأسفار في مختلف دول العالم، وانتشرت انتشارا باهرا، تسامت فيه الروحانية.

الزوايا التابعة لأحمد بن عليوة :

إنّ التربية الروحية لم تكن منوطة بالزوايا الأم (مستغانم)، بل ارتبطت أيضا بعدّة زوايا في مختلف أنحاء العالم، كما في الجزائر بأقطارها أيضا، ومن ذلك:

- " الغرب الجزائري: وتشمل زاوية مستغانم الأم، ووهران، وتلمسان، و غليزان

¹ أحمد بن عليوة " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود "، ص 8_9

² مجلة المرشد " جمعية سيدي عبد الرحمان الثعالبي لإحياء التراث "، ص 6

³ المرجع نفسه، ص 6

⁴ جان شو قلبي " التصوف والمتصوفة "، ص 89

• "الوسط: وفيه زاوية بوزريعة, ومنطقة القبائل, خاصة القبائل الصغرى (أقبو, جعافرة, الماين, بن يعلى), برج بوعريريج .

• " الشرق الجزائري: وفيه زوايا خنشلة, و عنابة"¹ , أما خارج الوطن فخرائطها مجموعة من البلدان, ففي المغرب العربي تتوزع كالاتي:

• " المغرب الأقصى :ويضمّ الزوايا المنتشرة في عدّة مناطق من الرّيف المغربي, إلى جانب زوايا تيطوان , طنجة, و سبتة.

• " تونس: وفيها عدّة زوايا بالسّاحل التّونسي.

• " الزّوايا الموجودة بالمدينة المنورة.

• وفي غرب إفريقيا نجد فيه زاويتي (أديس بابا) الحبشة, وزاوية في الصومال..."²

وفي هذا يتحدّث مارتن لنجر الشّهير بالحاج أبو بكر سراج الدّين في كتابه "الشّيخ أحمد العلاوي الصّوفي المستغانمي الجزائري", يقول : " كانت الزّوايا التابعة للشّيخ قد انتشرت انتشارا واسعا في شمال إفريقيا من تأسيسه هو شخصيّاً , فكثيرا ما كان يقوم برحلات قصيرة من النّوع المذكور, ومن تأسيس مقدّميه, وليس ذلك فحسب بل انتشرت أيضا في الشّام _دمشق_, وفي بلاد فلسطين_إفّا و غزّة و الفالوجا_, وفي عدن, وأديس بابا, وفي مرسيليا وباريس, ولاهاي, و كارديف..."³, وفي هذه الأخيرة نفوذا للطريقة "

تحت تصرّف مقدّم كان يعيش بكارديف, إنه عبد الله الحكيمي, الدّي كان مواليا للإنجليز, وعيّن عدّة بن تونس في مكانه الحاج إسماعيل, ومحمد علي عوضي المرادي..."⁴, وفي مقال صدر بالجريدة الإسلامية (islamic revue), في شهر أوت 1952, ذكر هذه الجالية المسلمة قائلا : " يوجد بإنجلترا جالية هامّة من مسلمي

¹ يحيى بعبطيش " دراسات في الخطاب الصّوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية", ص 33

² المرجع نفسه, ص 34

³ الموقع الإلكتروني بقلم سلمان عرادة

⁴ خالد عدلان بن تونس " الذكرى الخمسون لوفاة الشّيخ عدّة بن تونس", ص 10

الذين ينتمون إلى الطريقة العلاوية التي أسسها الشيخ بن عليوة بالجزائر، وقد أقامت هذه الجمعية مؤخرًا احتفالها السنوي أيام 9_10_11 ماي بكرديف، تحت إشراف إدارتها الشيخ حسن إسماعيل، وبمساعدة السيد ناصر يحيى (المقتصد)، السيد علي باشا مستشار الجمعية...¹.

وهؤلاء الأتباع كانوا "معظمهم من البحارة الذين قاموا بتأسيس زوايا في عديد من الموانئ منها كارديف (في حياة الشيخ)، ثم بعد وفاته في لفربول، هال، و سوث شيلدرز، وفي بيرمنجهام..."²، كما له من جهة أخرى "في باريس مركز ديني ثقافي، وهو يصدر مجلة، وينظم دروس، ويعقد اجتماعات، بالإضافة على تربيته، وتكوينه للمريدين..."³.

شهادات في صفاته، وطريقته :

تأسست الطريقة العلاوية حوالي سنة 1333هـ_1994م، غير أنه كان محسودا من معاصريه، و مغبوطا من البعض، إلا من ألهمه الله إلى تجديد العهد به، وحول هذا يقول عدة بن تونس : " .. وهم يومئذ لا يتجاوزون عدد الحواريين عليهم السلام...، أما الأستاذ

¹ المرجع نفسه، ص 10

² الموقع الإلكتروني بقلم سلمان عرادة

³ جان شو قلبي " التصوف والمتصوفة "، ص 89

فلم يكن في جميع ذلك، إلا كما كان إبراهيم الخليل عليه السلام يوم ألقى في النار حقاً...¹ كان هذا من طرف الإصلاحيين، وفي دراسة قام بها جاك كاري يصف فيها الروح التي تنشطت فيه الطريقة العلاوية.

وحول هذا يقول: "إن الطريقة العلاوية التي تأسست على يد الشيخ (بن عليوة)، حازت قصب السبق في الحفاظ على أصالة المبادئ القديمة للتصوف، والانفتاح على مساهمة العصرنة والتحرر، واللذين كنا نعتقد أنهما حجر على الإصلاحيين فقط..."²، وسبب تسميتها بذلك، "شهرتها به مع أنها كانت تعرف من قبل بالدرقاوية غرباً، و الشاذلية شرقاً، لما لها من المزية وظهور الفائدة.. ولأستاذ المشار إليه من ذلك أوفر نصيب سما أنه ظهر في هذه الطريقة المؤسس لها.. بصولة خارقة، وأسلوب غريب في استخراج الدقائق الغامضة، والرقائق الفائقة، والحقائق الثورانية من بدائع المعارف الإلاهية..."³.

كما كتب الدكتور بويست بيرابان. "إنها طريقة جديدة من الناحية الإدارية فقط، دون أن تخرج عن نطاق المدرسة الشاذلية التي ينتمي إليها عبد السلام مشيش ولي تطوان، سيدي بومدين دفين تلمسان، بن عبّاد الروندي... يدّعي الغرب بأن الشيخ العلاوي حاول إزالة كل الطرق الأخرى ليحتل مكانها، لم يكن نجاحه عائد إلى مؤامرات أو مكيدات بل ببراعته في الجذب، ونشاطه الذي يناقضه فكر العصور الوسطى والأساليب الميكانيكية التقليدية لدى الطرق الأخرى، ما استغلّ العلاوي يوماً فقرائه، ولا استغنى على حسابهم..."⁴، نلمس أن أحمد بن عليوة مجدّد بحقّ معالم التصوف، ولقد شهدت له بذلك العديد من الشهادات لعدد كبير من الشخصيات، وممثلي مختلف الطرق الصوفية، ويرى المستشرق F. Chvon في مجلة Ahiors Du Sud عدد سبتمبر 1925 يقول: "إن الالتقاء بمثل هذا الشخص (سيدي أحمد العلاوي)، لهو أشبه بالوقوف

¹ عدّة بن تونس "الروضة السنية في المآثر العلاوية"، ص 43

² خالد عدلان بن تونس "الذكرى الخمسون لوفاة الشيخ عدّة بن تونس"، ص 22

³ عدّة بن تونس "الدرة البهية في أورد وسند الطريقة العلاوية"، ص 27

⁴ مجلة المرشد "جمعية سيدي عبد الرحمان الثعالبي لإحياء التراث"، ص 6

وجها لوجه، وفي منتصف القرن العشرين أمام ولي من الأولياء العصور الوسطى، أو نبذي من الأنبياء السابقين، وذلك كان هو الأثر الذي انطبع على نفسي إثر زيارتي للحاج أحمد بن عليوة...¹.

كما يعتبره من أعظم المتصوفين في القرن العشرين المعاصرين وفي هذا الشأن يقول أيضا أحد كبار أساتذة التصوف الذي مات منذ أشهر قليلة بمستغانم، وكنت أن رأيت به جلابيته، وعمامته البيضاء، ولحيته الفضية، وذراعيه الطويلين، وقد بدتا إذا حركهما كأنهما مثقلتين بفيض بركته التي تسري منها، فتحسّ بريح نقيّة طاهرة معتقة، تفوح منه كأنه سيّدنا إبراهيم الخليل كان يتكلّم بصوت خفيض رقيق تهبط منه الألفاظ واحدة إثر الأخرى، كأنها الدّر المتساقط...².

إنّها شهادات من ليسوا من أبناء جلدته، لم تقتصر هذه الشّهادات على هذا الحدّ، إنّما تعداه إلى رأي أحد تلامذته ومريديه بقوله: "لقد أعطى هذا الشيخ الذي أحيا طريق الصّوفية في عصر الظلمات الروحية، مثال الإنسان الذي أهمّته مشاكل عصره، ووقته، لقد كان متوثّب الفكر، قويّ لروح، شديد الإحساس بمصير مريديه، ومهتما بهم، وكانت عزمته، وقوّته الروحية، تشمل الإنسانية كلّها، وتعطف عليها...³"، ومن جهة أخرى نلاحظ شهادة معيّنة ومميّزة "تعكس صورة الطّبيب المستشرق عن الشّيخ رؤية مخالفة لما عهده في الرّجل المسلم، ولا أدلّ على اختلاف تلك الرّؤية من جنوح المستشرق إلى مقارنة الشيخ بالمسيح في كلّ مرّة يتكلّم عن زهده وبركاته، وبالرّهبان المسيحيين...⁴"،

من هذا المنطلق فإنّ مارسال كاري، وهو طبيب فرنسي ترك شهادة رائعة حول شخصية أحمد بن عليوة عند أوّل لقاء به: "عند أوّل لقاء معه، علمت أنّي كنت أتواجد أمام شخصية خارقة للعادة.. الأمر الذي فاجأني أوّل مهلة هو مشابهته مع الوجه الذي غالبا ما

¹ الموقع الالكتروني بقلم سلمان عرادة

² الموقع نفسه

³ جان شو قلبي "التصوف والمتصوفة"، ص 89

⁴ عدّة بن تونس "التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي"، ص 104

يمثل به المسيح، الخمار الأبيض الرقيق الذي كان يغلف وجهه، حركاته، وسكناته، كل شيء يساهم ليؤكد هذه المقاربة ورث ببالي الفكرة أنه كذلك كان المسيح يقيم عند مارقس، ومريم...¹.

كما تلقى أحمد بن عليوة الثناء من مختلف الطرق الصوفية من ذلك " حفيد مولاي العربي الدرقاوي، سيدي محمد بن الطيب الدرقاوي، الذي طالب بأخذ السلوك على يد الشيخ... وأيضاً حفيد الشيخ بوعمامة من الطريقة الطيبية الذي جدّ عهده على يد الشيخ واستأذنه للحج (1926)، ممثل الطريقة التيجانية بالمغرب أحمد بوقيراج الذي يثني على الشيخ العلاوي، ومؤلفاته (1933)، شيخ الطريقة الكتانية هو بدوره عبّر عن تأييده للشيخ (1919)...².

وفي بلاد المشرق تمثلت في " رسالة شيخ الطريقة النقشبندية باليمن الشيخ صلاح طيار الذي يعين الشيخ العلاوي في بلاده وارثاً للتعليم الباطني المحمدي، وكذلك قاضي ومفتي الحرمين محمد المكي الذي يطلب من الشيخ قبوله كمريد، شخصيات أخرى من فلسطين في مؤتمر سنة 1934...³، ويرى أيضاً العباس بن أبي بكر البناي، أحد أجلة المدرّسين بالدرجة العليا بالقرويين بمدينة فاس ومفاتيها حيث يقول: "...لم أكن قد رأيته من قبل، وكانت لي معه صلة ودّية مبناها على رابطة علمية...، فلما اجتمعت بالشيخ المذكور رأيته رجلاً قد وضع الحق عليه حلية القبول، وهو متصف بأخلاق عالية، ومآثره فاضلة، والرجل له شغف زائد بالعلم، ومجالسة أهله، والمذاكرة في مسائله، ومعمراً أوقاته بالذكر والنصح، والدلالة على طريق الحق...⁴، وأنشد قائلاً :

مَا زِلْتُ أَسْمَعُ مِنْ إِحْسَانِكُمْ خَبَرًا الْفَضْلُ يَسْتُذُّهُ عِنْدَكُمْ وَيَرْفَعُهُ⁵

¹ مجلة المرشد " جمعية سيدي عبد الرحمان الثعالبي لإحياء التراث"، ص 7

² المرجع نفسه، ص 13

³ المرجع نفسه، ص 13

⁴ أحمد بن عليوة " القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد الله"، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1992، ط 2، ص 35

⁵ المرجع نفسه، ص 35

حَتَّى التَّقِينَا فَشَاهَدْتُ الدِّي سَمِعْتُ أَدْنَى وَ أَضْعَافُ مَا قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُهُ

مؤلفات أحمد بن عليوة :

❖ الديوان :

طبع عدة مرات أولها ب" تونس عام (1339هـ_1920م)، واعتنى بطبعه الأستاذ الحسن بن عبد العزيز القادري، والحاج حسن بن محمد الطرابلسي، وثانيها بدمشق الشام سنة (1349هـ_1937م)، بعناية الأستاذ محمد الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني، الذي جدد الطبعة الثالثة بعد وفاة الشيخ العلاوي، بإذن من خليفته الشيخ عدة بن تونس عام (1353هـ)، وطبع بمدينة غزة بفلسطين عام (1398هـ_1978م) من طرف مصطفى محمد أحمد السعافين تحت عنوان: "روضة المحبين في كلام العارفين، ضمن مجموع يضم عدة دواوين، ومختارات من الشعر الصوفي ..."¹

❖ الرسالة العلاوية في البعض من المسائل الشرعية:

لا تزال هذه الرسالة مخطوطة بكتبة الزاوية العلاوية بمدينة مستغانم (تجديد)، كتبها للمريدين والأتباع، قرر بموجبها كتابة أحكام العبادات، وأصول العقائد، وختمها بكتاب التصوف الذي ضم 132 بيتا، مبرزاً حقيقته وآدابه، وأحواله، ومقاماته، وفق منظومة بن عاشر الأندلسي المسماة بالمرشد المعين، فسار على منهجه، وسلك مسلكه في النظم، ومن جهة أخرى، فإنها "مفرقة الأبواب و الفصول صعبة الاستقراء والحصول، ثم أشار إلى

تسميتها في منظومته الشعرية التي أبان فيها محتوى كتابه ، وعنوانه :

سَمَّيْتُهَا الرِّسَالَةَ الْعَلَاوِيَّةَ فِي الْبَعْضِ مِنَ الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ " ²

كما حوت قضايا الفقه المالكي، وهب منظومة تشتمل على ألف بيت، بالتدقيق على 997 بيتا، إلا ثلاثة أبيات اتبع فيها خطة (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)،

¹ أحمد بن عليوة" دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين"، المطبعة العلاوية مستغانم، ط 5، ص 3

² محمد بن صالح التمساني " الحل المرضية على الرسالة العلاوية"، المطبعة العلاوية مستغانم، 1998، ط 2، ص 23

كما ذكرنا سالفًا، قد " قسم الشيخ العلاوي رسالته إلى تسعة وأربعين فصلاً...¹، وقام بشرح الجزء الأول منها محمد بن الصالح التلمساني " المغربي مسقطا، العلوي نسبة (ألف سنة 1929)، وطبع الطبعة الأولى بمستغانم سنة 1938، على نفقة المنتسب الصادق سيدي الحاج صالح بن مراد التلمساني منشأ، العلوي طريقة...²، ضمّ (29 فصلاً، و 420 بيتاً) من مجموع (997 بيتاً) تضمنته الرسالة .

❖ رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف:

نشرت هذه الرسالة "في أعداد متتابعة في جريدة (البلاغ الجزائري)، وأواخر الثلاثينات من هذا القرن، يرد فيها على المقال النشور بمجلة (الشهاب) عدد (174)، وهو أحد العلماء المدرسين بالحرم النبوي الشريف ...³

❖ المواد الغيثة الناشئة عن الحكم الغوثية:

يضم هذا الكتاب "جزآن، الطبعة الثانية 1989⁴، وهذه الحكم للقطب الغوث شعيب بن الحسن التلمساني (ت 589هـ_1193م)

❖ معراج السالكين ونهاية الواصلين:

هو شرح وجيز لحقيقة المعراج "ويعتبر هذا المخطوط من أقدم مؤلفات الشيخ التي

كتبها ، وهو ما يزال تلميذاً...، حيث انتهى من جمعه سنة 1319هـ_الموافق ل

1901...⁵

❖ القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف:

¹ عده بن تونس " التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي"، ص 69

² عبد السلام بن أحمد الكونني" من تراث الطريقة العلاوية الصوفية " _ البلاغ، 1986، ط 1، ج 1، ص 10

³ أحمد بن عليوة " رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف "، المطبعة العلاوية ، مستغانم، ط 2، 1990، ص 5

⁴ يحيى بعبطيش "دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية"، ص 34

⁵ أحمد بن عليوة "معراج السالكين ونهاية الواصلين، المطبعة العلاوية، ط 2، 1992، ص 6

جاء "ردًا على كتاب (المرآة لإظهار الضلالات)، للشيخ عثمان بن المكّي.."⁶

❖ النموذج الفريد المشير لخالص التوحيد :

وذلك لما فيم من " شرح للأثر الفخيم ((كل ما في الصحف الأولى منطوي في نقطة بسم الله الرحمن الرحيم))²

❖ لباب العلم في سورة والنجم:

انتهى منه في "صبيحة يوم الأحد خمسة عشر من ذي القعدة سنة 1333هـ [هجريّة]..³

❖ مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المريد:

انتهى منه في " ليلة السابع والعشرين من رمضان 1345هـ الموافق ل 31 مارس 1927 ,والكتاب يقع في عشر صفحات, و مئة صفحة ..."⁴

❖ المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد:

يندرج في " ست صفحات , وثلاثة مئة صفحة (306),من الحجم المتوسط..."⁵

❖ المنح القدوسية:

طبع لأول مرة 1329هـ_1911م ,ويمثل تفسيراً باطنياً لمعنى أركان الإسلام .

❖مفتاح الشهود في مظاهر الوجود:⁶

نشره متأخراً حيث كان " مخطوطاً من سنة 1904م/1322هـ حتى عام 1941م, حيث قام خليفته الشيخ سيدي عدّة بن تونس بتحقيقه, وطبعه, وجدّد طبعه ثانية في السنوات الأخيرة..."⁷

⁶ عدة بن تونس " التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي " ,ص 269

² إبراهيم عاصم الكيالي "رسائل الشيخ المستغانمي " ,ص 5

³ المرجع نفسه,ص 405

⁴ عدة بن تونس " التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي " ,ص 70

⁵المرجع نفسه,ص 71

⁶ ممدوح الزويبي " معجم الصوفية " ,ص 14

⁷ عدة بن تونس " التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي " ,ص 265

- ❖ " أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل:، الطبعة الثانية 1993" ¹
- ❖ " القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول: " ²
- ❖ " دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار_ديوان في مطبوعات صوفية" ³
- ❖ " قواعد الإسلام ب(الفرنسية) " ⁴
- ❖ " الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية " ⁵
- ❖ " الله القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد " ⁶
- ❖ بستان العرفان في معاني القرآن
- ❖ " البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور (جزآن)، الطبعة الثانية، 1995" ⁷
- ❖ " مظهر البيّنات في التمهيد بالمقدمات " ⁸
- ❖ " نور الأئمة في سنة وضع اليد على اليد " ⁹
- ❖ " تفسير سورة والعصر " ¹⁰
- ❖ " منهاج التصوف " ¹¹

والعديد من المؤلفات التي أشار إليها العديد من الدارسين ، ومن جهته أيضا فقد أنشأ أحمد بن عليوة " مطبعة لطباعة الكتب، والنشرات الدينية، وأصدر صحيفة أسبوعية سمّاها (لسان الدين) تدافع عن الإسلام والتصوف...¹²، وكان أول ظهور لها في " 4 جمادى الأولى 1341 الموافق 2 جانفي 1923...¹³، فكان للشيخ الفضل الكبير في ترقية

¹ يحيى بعبطيش "دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية "، ص 34

² إبراهيم عاصم الكيالي "الحقائق الإلهية في التائبة الصوفية "، ص 203

³ أحمد بن عليوة " الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية "، ص 34

⁴ عدّة بن تونس " التربية والمعرفة "، ص 269

⁵ خير الدين الزركلي " الأعلام "، ص 258

⁶ أحمد بن عليوة " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود "، ص 8

⁷ يحيى بعبطيش "دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية "، ص 34

⁸ أحمد بن عليوة " الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية "، ص 34

⁹ إبراهيم عاصم الكيالي "الحقائق الإلهية في التائبة الصوفية "، ص 203

¹⁰ أحمد بن عليوة " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود "، ص 8

¹¹ أحمد بن عليوة " الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية "، ص 34

¹² المرجع نفسه، ص 8

¹³ عدّة بن تونس " التربية والمعرفة "، ص 291

الصحافة الطرقية الصوفية ودعمها، حيث أنه أول شيخ في التاريخ أنشأ الجرائد، ولكن " منع إصدار المجلة الأولى لسان الدين من طرف المستعمر، أنشأ مجلة أخرى سنة 1926 بعنوان البلاغ الجزائري..."¹.

وترك بن عليوة مئات المقالات التي نشرت في جريدة البلاغ مدة عمرها المتراوحة ما بين (1926_1946)، وقد ظهرت دراسات عالجت جوانب من حياة الأستاذ العلوي، أهمها كتاب "Un Saint Musulman Le Cheick Ahmed Alawi" للدكتور مارتين لنجر (أبو بكر سراج الدين)، وترجمه إلى العربية الدكتور محمد إسماعيل الموفي بعنوان الشيخ العلاوي الصوفي المستغانمي الجزائري، وطبع ببيروت سنة 1973².

¹ جمعية عبد الرحمان الثعالبي "مجلة المرشد"، ص 9

² عدة بن تونس "الروضة السنية في المآثر العالوية"، ص 6